

عناية علماء الجزائر بمتن "السلم المرونق" للأخضري تدريسا وتأليفا

د. بلخير عمراني

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر

الملخص:

لقد نال متن السلم المرونق في علم المنطق للأخضري شهرة كبيرة بين الدراسات المنطقية، واعتمد لقرون طويلة في التدريس باعتبار هذا العمل من أنسب المتون التي ساعدت الطلاب وسهلت لهم هذا العلم، ويتناول هذا البحث بالدراسة التعريف بصاحب المتن وبالسلم المرونق مع بيان أهميته ومكانته العلمية، ثم جهود علماء الجزائر في خدمته تدريسا وتأليفا، مع إبراز الحواضر العلمية الجزائرية التي اعتمدته في مقرراتها، والتأليف والحواشي الجزائرية التي ألقت عليه، وهو ما يكشف جانبا من الحياة الثقافية في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: السلم المرونق، عبد الرحمن الأخضري، الجزائر، علم المنطق، علماء الجزائر.

The Algerian scholars' Attention about Matn 'As-Sullam Al-Murawnaq' for Al-Akhdari Teaching and Composing

Dr.Balkhir Omrani

Center for Research in Islamic Sciences and Civilization, Algeria

Abstract:

Matn As-Sullam Al-Murawnaq for Al-Akhdari in Logic got great fame among logical studies, for long centuries it was adopted in teaching by considering this work as one of the most appropriate texts that helped students and facilitated this science for them. This research deals with the study of the author's definition and As-Sullam Al-Murawnaq, with an indication of its importance and scientific status, then the Algerian scholars' efforts in serving it, with highlighting the Algerian scientific cities that adopted it in their decisions, and the Algerian authorship and footnotes on which composed and that reveals an aspect of the cultural life in Algeria.

Keywords: As-Sullam Al-Murawnaq, Abdurrahman Al-Akhdari, Algeria, Logic, Algerian scholars

المقدمة:

يعتبر المنطق واحدا من العلوم العقلية التي انتقلت إلى المسلمين من علوم اليونان وذلك منذ أن بدأت الترجمة على عهد الخليفة المأمون، فقد اهتم علماء الإسلام به وتناولوه بالدرس والشرح والنقد. وقد مر منذ القرن التاسع الميلادي إلى اليوم بعدة مراحل، ابتداء من الترجمة ومرورا بالتأليف والتصنيف فيه أصالة لا نقلا والتي عرفت أمثال الخونجي والأبهرى والقزويني وابن تيمية، وانتهاء بمرحلة المتون والشروح عليها والتي كان أغلبها اختصارا للعلم ثم بسطا له. ولقد عرفت الجزائر مجموعة من الأعلام الذين أسهموا في هذا الفن وكان لهم شهرتهم فيه، منهم محمد بن أحمد التلمساني، ومحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، ومحمد بن يوسف السنوسي، وعبد الرحمن الأخضري، .. إذ تلقى علماء الشرق والغرب كتبهم بالقبول، وتداولوها في حلقات العلم والدرس، وألفوا عليها الشروح والحواشي، التي تبين مكانتهم في هذا الفن واقتدارهم.

لقد كان العلامة عبد الرحمن الأخضري البسكري الجزائري بحق رائدا في صناعة المتون البيداغوجية التي تقرّب العلوم للطلاب، وكانت متونه مناهج علمية أغنت الكثير من الحواضر العلمية عن صناعة مقررات جديدة، ولا أدل على ذلك من انتشار كتبه في الشرق والغرب، واعتمادها كمقررات للتدريس في كبرى المدن العلمية كتلمسان، والأزهر، ودمشق، وفاس، والزيتونة، والقرويين، .. ولم يكن متنه في علم المنطق "السلام المرونق في علم المنطق" إلا واحدا من هذه المقررات التي لقيت شهرة كبيرة، حتى كتب فيه كبار العلماء، بما يظهر مكانة هذا المتن الذي لا تخلو مكتبة منه، ولا يستغني عنه طالب للعلم.

ولأن علماء الجزائر كغيرهم من علماء الشرق والغرب اعتنوا بهذا المتن عناية فائقة، فقد ارتأيت أن الحاجة البحثية ملحة لأن يركز على هذا الاهتمام الجزائري بالمتون الجزائرية، إذ إن معالجة هذا المتن من هذه الزاوية يكشف النقاب عن الكثير من المؤلفات المنسية، ويؤرخ للحياة الثقافية الجزائرية.

إشكالية الدراسة:

من خلال ما قدمنا له يمكننا أن نطرح الإشكاليات الآتية:

- ما أهمية السلم المرونق بين المتون المنطقية؟
- هل اعتنى علماء الجزائر بمتن السلم للأخضري؟
- ما هي مظاهر عناية علماء الجزائر بمتن السلم؟

أهداف الدراسة:

- بيان أهمية متن السلم المرونق للأخضري في الدراسات المنطقية.
- بيان عناية علماء الجزائر بالمتون الجزائرية وإبراز دورهم في الحفاظ عليها والتأليف عليها.
- الكشف عن بعض الكتب الجزائرية المنسية والمفقودة بما يفتح الباب للبحث عما فقد وتحقيق ما لم يحقق.
- إبراز جانب من الحياة الثقافية للجزائر في الفترة العثمانية

منهج الدراسة:

اعتمدت في البحث على المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، إذ حاولت أن أتتبع تاريخ الحواضر العلمية والمؤلفات على المتن، للوصول إلى كل ما يخدم البحث ويجلي الحقيقة، كما حاولت أن استقرئ النصوص وأحللها لبيان أهمية متن السلم المرونق، ولأدلل على عناية علماء الجزائر به، بغية الإجابة عن الإشكاليات التي طرحتها الدراسة.

الدراسات السابقة:

من خلال الدراسة المسحية التي أجريتها على عدد من الدراسات التي توفرت لدي، لم أجد من أفرد لهذا الموضوع بحثا، ولم أقف على دراسة تحصي جهود علماء الجزائر في خدمة متن السلم المرونق في علم المنطق، وهو ما شجعني للخوض فيه لما له من أهمية في خدمة التراث العلمي الجزائري.

خطة الدراسة:

- قسمت البحث إلى مقدمة وخاتمة، وثلاثة مباحث هي:
- المبحث الأول: التعريف بالشيخ عبد الرحمن الأخضري.
- المبحث الثاني: التعريف بالسلم المرونق وبمكانته العلمية.
- المبحث الثالث: عناية علماء الجزائر بمتن السلم المرونق.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ عبد الرحمن الأخضري

يعتبر الأخضري واحدا من أشهر علماء الجزائر في الفترة العثمانية، حيث لاقت مؤلفاته وجهوده العلمية قبولا واسعا وانتشارا بين العلماء، داخل الجزائر وخارجها، وقد ألف بعض المتون الشهيرة وهو في مقتبل العمر، وتلقفتها حلقات الدرس والشرح عصرا بعد عصر، وانتقلت من مصر إلى مصر، وفيما يلي سأحاول التعريف بالشيخ قبل الخوض في متنه "السلم المرونق".

اسمه ونسبته:

هو العلامة الجزائري المحقق أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري^١، وحسب ما جاء في شرحه على سلمه في علم المنطق فإن نسبه يعود إلى الصحابي العباس بن مرداس السلم^٢، غير أن الشيخ عبد الرحمن الجيلالي شكك في ذلك وقال بنسبته إلى بطن من بطون الدواودة من أولاد رياح المنتمين إلى الأخضر بن عامر بن رياح^٣. ويبدو أن ما ادّعه الأخضري لنفسه أولى حتى يثبت الآخر بيقين.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عبد الرحمن الأخضري بمدينة بنطيوخ من قرى نواحي بسكرة في الجنوب الجزائري، وذلك سنة ٩٢٠ هـ الموافق لسنة ١٥١٤م، وقد تم استنساخ تاريخ ميلاده من رجزه المسمى (السلم المرونق) حيث قال في آخره:

ولبني إحدى وعشرين سنة معذرة مقبولة مستحسنة

لا سيما في عاشر القرون ذي الجهل والفساد والفتون

وكان في أوائل المحرم تأليف هذا الرجز المنظم

من سنة إحدى وأربعين من بعد تسعة من المئين

فإذا طرحنا سن الأخضري منذ وقت التأليف ٢١ سنة من تاريخ تأليف هذا الرجز ٩٤١ هـ يخرج لنا الناتج ٩٢٠ وهو التاريخ الصحيح لميلاد الأخضري^٤.

نما الشيخ وشب وأخذ العلم عن والده وشقيقه الأكبر، وكان والده محمد الصغير من علماء الوقت أيضا، فألف (أي الوالد) حاشية على خليل وكتّابا في التصوّف أيضا، هاجم فيه من سماهم بـ "الدجاجلة" الذين انحرفوا في رأيه عن منهج الشرع القويم، ولعل الأخضري قد تأثر في هذا المجال بوالده كما أن جده محمد عامر كان من علماء الوقت فجمع أيضا عملا في الفتاوى الفقهية.

وتذكر بعض الروايات أن الأخضري قد طلب العلم أيضا بقسنطينة وأخذه على الشيخ عمر الوزان. كما طلبه بتونس وأخذه على مشائخ الزيتونة. ولكن هذه الرواية غير مؤكدة°. لكن الثابت أنه نبغ رحمه الله في وقت مبكر، فتأليفه لكثير من المتون والشروح والكتب في مقتبل العمر يدلنا على ذلك، ويدل على أنه قد نهل من العلم في مرحلة متقدمة جدا.

شيوخه وتلاميذه:

بالرغم من النبوغ المبكر للأخضري، وبالرغم من تمكنه من عدة فنون إلا أننا لا نجد عددا كبيرا لشيوخه، نظرا لعدم انتقاله إلى خارج الجزائر - سوى الرواية غير المؤكدة عن دراسته في الزيتونة -، وكذلك لا نجد له تلاميذ كثر ومشهورين، فهو لم يعمر طويلا، ولم يتسن له أن يكون التلاميذ ويورث علمه مشافهة. وسنذكر فيما يلي ما ذكرته المصادر من شيوخه وتلاميذه.

شيوخه:

تذكر المصادر التي ترجمت للأخضري مجموعة محدودة من شيوخه، وهم:

- والده الشيخ محمد الصغير، أخذ عنه الشيخ عبد الرحمن الأخضري مبادئ علم الحساب والفرائض مشافهة، حيث تمكن بعد فهمها واستيعابها من نظمها في متن سماه "الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء".
- أخوه أحمد بن محمد الصغير، وهو أكبر إخوته أخذ عنه أمور الفقه والمنطق والبيان ولم يخلف وراءه تأليفا.
- الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي فقيه ومحدث وصوفي ولد بقرية قرقاش من قرى طرابلس الغرب بليبيا ونشأ بالجزائر سنة ٩٥٩ هـ، أخذ عنه الأخضري واستفاد منه

وتلقى على يديه ورد الطريقة الشاذلية والزروقية، له رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس، والأنس في التنبيه عن عيوب النفس ومزيل اللبس عن آب وأسرار القواعد الخمس، توفي سنة ٩٦٣ هـ.

- الشيخ عبد الرحمن بن القرون (٩٨٣ هـ) أحد مرابطي قرية لياشنة الواقعة بالقرب من مدينة طولقة استفاد منه الأخضري كثيراً، ودرس على يديه.
 - الشيخ عمر بن محمد الكماد المعروف بالوزان، كان من أكابر علماء قسنطينة، فقيه وصوفي وعالم في المعقول والمنقول، من تأليفه البضاعة المزجاة، وفتاوى في الفقه والكلام، وحاشية على صغرى السنوسي.^٦
- كان هؤلاء هم شيوخ الأخضري، والذين يلاحظ أنهم قلة محدودة في القطر الجزائري.

تلاميذه:

لم يترك الأخضري عددا كبيرا من التلاميذ المعروفين الذين أخذوا عنه العلم مشافهة، بل إن تلاميذه هم من استفادوا من مؤلفاته ومنظوماته، وهم الذين شرحوا متونه، ذلك أنه لم يعمر طويلا رحمه الله، ويبدو من خلال بعض الأبيات أنه كان ينظم لطلابه ويؤلف لهم، ففي منظومة "الجوهر المكنون" يقول:

وقد دعا بعض من الطلاب لرجز يهدي إلى الصواب

فجئته برجز مفيد مهذب منقح سديد

ملتقطا من درر "التلخيص" جواهرها بديعة التلخيص^٧

وكذلك في شرحه لسلمه في المنطق يقول في سبب تأليفه: "أما بعد: فلما وضعت الأرجوزة المسماة "بالسلم المروني في علم المنطق"، وجاءت بحمد الله جملة كافية ولمقاصد من فنها حاوية راودني بعض الإخوان من الطلبة أكرمهم الله المرة بعد المرة على أن أضع عليها شرحا مفيدا يبيث ما انطوت عليه من المعاني ويشيد ما تقاصر فيها من المباني فأجبتهم لذلك طالبا من الله تعالى حسن التوفيق إلى مهائج التحقيق...^٨، وإن كانت عبارات الطلاب هنا غير واضحة، إن كانوا طلابه أو زملاءه في الطلب، إلا أنه يستأنس فيها بمن أخذ عنه هذه المؤلفات مشافهة،

خاصة وأن الشيخ قضى حياته في التعليم والكتابة في زاوية عائلته في بنطيوخس وتخرج على يديه تلاميذ عديدين كما يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله.^٩ وقد درّس بها فنونا عديدة من العلم لطلّبتها من منطقة الزيبان، والأوراس، وقسنطينة، ومنطقة واد ريغ، وكانت عاداته قضاء أشهر الصيف في قرية قجّال لمناخها المعتدل، ولم يكن مقامه بها للراحة والاستجمام، بل كان يدرّس بها طلبة حاضرة سطيف والمناطق المجاورة لها.^{١٠}

تذكر بعض المصادر التاريخية من تلاميذه: الشيخ عبد الكريم الفكون، والشيخ سعيد قدورة، إلا أن الدكتور أبو القاسم سعد الله ينفي ذلك، إذ إنهما لم يعاصرا الأخضري، ولم يكونا قد ولدا حتى عندما توفي الأخضري، ولعل الفكون المقصود هو الجد، لذلك لا يثبت سعد الله من تلاميذه إلا عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي.^{١١}

مؤلفاته:

بالرغم من صغر سن الأخضري إلا أنه بدأ التأليف مبكرا، وتمكن جيدا من نظم العلوم، وكتابة المتون التي يسهل بها الحفظ للطلاب، لذلك نجد أغلب تأليفه إن لم نقل كلها هي متون لعلوم، أو شرح لها، وكأن المؤلف انتهج لنفسه نهج تأليف المقررات البيداغوجية حتى يخدم طلابه وكل مشغول بهذه العلوم، وقد بلغت مؤلفاته رحمه الله حوالي ثلاثين كتابا كما ذكر صاحب العقد الجوهري، منها ما وصلنا ومنها ما لم يصل كما يبدو، وقد توزعت بين عدة فنون كالفقه، والعقيدة، والمنطق، والبلاغة، والفلك، والفرائض، والتصوف، ... وفيما يلي ذكر لما عرف منها:

- ١- السلم المرونق: وهو نظم في المنطق يضم ١٤١ بيتا. وقد شرحه الناظم.
- ٢- الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون: وهو نظم في البلاغة، يشمل البيان والمعاني والبديع، ويضم ٢٩١ بيتا. وقد شرحه الناظم.
- ٣- الدرة البيضاء في الحساب والفرائض: وتضم ما يقارب ٥٠٠ بيت، وقد شرح الناظم بعضها.
- ٤- مختصر في فقه العبادات: وهو على مذهب السادة المالكية.

- ٥- نظم السراج في علم الفلك: ويضم ٢٩٦ بيتا، وقد شرحه تلميذه عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي.
 - ٦- شرح على إحدى عقائد الإمام السنوسي.
 - ٧- شرح العقيدة الصغرى للإمام السنوسي المسماة أم البراهين.
 - ٨- الفريدة الغراء: وهي نظم في عقيدة التوحيد.
 - ٩- نظم الأجرومية: يضم ١٧٠ بيتا، وسماه الدرة البهية.
 - ١٠- لامية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: تضم ٢٥٢ بيتا.
 - ١١- لامية: وتضم ٤٠ بيتا، نظمها لما اكتشف قبر خالد بن سنان.
 - ١٢- ثائية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: وتضم حوالي ٤٠ بيتا.
 - ١٣- نصيحة الشبان: أرجوزة تضم ٢٣ بيتا.
 - ١٤- أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب: وهو نظم يضم ٢٧٨ بيتا.
 - ١٥- نظم قواعد الإعراب: نظم به كتاب مغني اللبيب لابن هشام.
 - ١٦- رائية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: تضم ١٦٤ بيتا.
 - ١٧- قصيدة في طبيعة النفس.
 - ١٨- الزهرة السنية.
- هذه أهم مؤلفات الشيخ عبد الرحمن الأخضري، ويقال إن هناك مؤلفات أخرى مفقودة، وفقدت حتى عناوينها، وكما لاحظنا فإنها تأخذ الطابع التعليمي، ونظم العلوم والفنون تسهيلا للطلاب، وتقريبا لها إليهم.

وفاته:

اختلف الباحثون والمترجمون للأخضري في سنة وفاته مثلما اختلفوا في سنة ميلاده، وإن كان الخلاف هنا أشد، فهناك من رأى أن شهرة الأخضري وتمكنه من العلوم والفنون، وتأليفه الكثيرة لا تصدر من شاب توفي في بداية الثلاثينات من عمره، وإنما عاش أطول مما ذكر، بينما فند آخرون ذلك ورأوا أن الله قد بارك في عمره حتى خلف كل هذه التأليف، وليس بالأمر الغريب من شاب بدأ النظم مبكرا.

فبينما يجعل الزركلي سنة ٩٨٣ هـ هي سنة وفاة الأخضري^{١٢}، يرى الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أنه توفي سنة ٩٨٢ هـ ويخطئ ما ذهب إليه الزركلي^{١٣}، أما المهدي البوعبدلي فقد ذهب إلى تاريخ آخر وهو ٩٨١ هـ مستندا في ذلك إلى نظم الأجرومية للأخضري، والذي جاء فيه:

تم بحمد الله ما قصدنا من نظم هذه التي أردنا

سميتها بالدرة البهية فهي لما في أصلها محوية

وكان في محرم الحرام بدءا وختما لذا النظام

في عام إحدى وثمانين سنة من بعد تسعمائة مستحسنة^{١٤}.

وقد رد الدكتور أبو القاسم سعد الله على هذا الاستدلال بأنه ضعيف لأن البيت قد يكون فيه تصحيف من النساخ بقراءة "إحدى وثمانين" بدل "إحدى وثلاثين"^{١٥}. وعلى هذا الرأي فإن سعد الله يوافق صاحب العقد الجوهري في اعتبار سنة ٩٥٣ هـ سنة وفاته. ويبقى الأمر محل خلاف حتى يتعضد أحد الأقوال بدليل قوي، والثابت أن الأخضري كان قد توفي بمدينة "قجال" بولاية سطيف ودفن في مسقط رأسه ببنيطيوس.

المبحث الثاني: التعريف بالسلم المرونق وبمكانته العلمية

لا يختلف اثنان أن شهرة السلم المرونق قد بلغت الآفاق، وأنه قد شرح مرات عديدة، وتلقته الأمة من شرقها إلى غربها بالقبول والعناية، وكان أحد المقررات المهمة في كثير من مدارس العلم في بلاد الإسلام، لذلك يحسن ههنا أن نصف هذا المتن وأن نبين مكانته.

التعريف بالسلم المرونق:

هو متن من بحر الرجز ألفه الشيخ عبد الرحمن الأخضري في علم المنطق، وقد ورد بتسميتين "السلم المرونق في علم المنطق" و"السلم المنورق في علم المنطق"، ويبدو أن كلا التسميتين وردتا في مخطوطات مختلفة^{١٦}، وقد ذكر الشيخ القويسني عند شرحه للسلم أن كلا التسميتين صحيح، فقال: "(المنورق) بتقديم النون على الراء كما هو الرواية عن المصنف،

ويصح تقديم الرءاء، ومعناه المزيّن والمزخرف^{١٧}. وهذا ما يفسر اختلاف المخطوطات والشروح على السلم في إيراد الكلمتين.

كتب الشيخ متته سنة ٩٤١ هـ وهو شاب ابن إحدى وعشرين سنة، ولذلك قال في نهاية النظم:

ولبني إحدى وعشرين سنة معذرة مقبولة مستحسنة

لا سيما في عاشر القرون ذي الجهل والفساد والفتون

وكان في أوائل المحرم تأليف هذا الرجز المنظم

من سنة إحدى وأربعين من بعد تسعة من المئين

ومن محاسن عادات المؤلف أنه كان يذكر سنة التأليف في متونه، وقد يذكر عمره آنذاك، وهو ما حفظ لنا محطات مهمة من تاريخه، وجعلنا نستنبط ونربط بعض الأحداث ببعضها مثل تاريخ ميلاده.

قسّم المؤلف المتن إلى فصول تقسيما يدلّ على براعته ومنهجيته التي تقرب العلوم للطلاب، فكانت فهرسته كالآتي:

- مقدمة.

- فصل في جواز الاشتغال به (المنطق).

- أنواع الحكم الحادث.

- أنواع الدلالة الوضعية.

- فصل في مباحث الألفاظ.

- فصل في بيان نسبة الألفاظ للمعاني.

- فصل في بيان الكل والكلية والجزء والجزئية.

- فصل في المعارف.
- باب في القضايا وأحكامها.
- فصل في التناقض.
- فصل في العكس والمستوى.
- باب في القياس.
- فصل في الأشكال.
- فصل في القياس الاستثنائي.
- لواحق القياس
- أقسام الحجة
- خاتمة

الغرض من التأليف:

لقد بين المؤلف رحمه الله غرضه من نظم متن السلم المرونق في علم المنطق، ذلك أنه قد وضعه للطلاب وزاد عليه شرحه حتى يكمل القصد منه، فيقول رحمه الله: " فلما وضعت الأرجوزة المسماة بالسلم المرونق، وجاءت بحمد الله جملة كافية، ولمقاصد من فنها حاوية، راودني بعض الإخوان من الطلبة أكرمهم الله المرة بعد المرة على أن أضع عليها شرحاً مفيداً يبيث ما انطوت عليه من المعاني ويشيد ما تقاصر فيها من المباني، فأجبتهم لذلك طالباً من الله تعالى حسن التوفيق إلى مهائع التحقيق". وبتواضع جم وبيان أنه قد وضعه للمبتدئين يضيف قائلاً: "وإن كنت لست أهلاً لذلك، ولكنني حملني عليه تفاؤلي ولم أضعه لمن هو أعلى مني، بل لأمثالي من المبتدئين ..."^{١٨}

مكانة السلم المرونق:

احتل السلم المرونق مكانة كبيرة لدى العلماء شرقا وغربا، ومن داخل الجزائر وخارجها، واكتسب شهرته من اهتمام العلماء به شرحا وتدریسا، فقد ساعدت عباراته السلسة ومرونته في سهولة حفظه من لدن الطلاب عبر الكثير من المدارس التي اعتمدته كمقرر للتدریس، ولذلك يقول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: "وكل من وقف على تأليفه وأسلوبه في نظمه ونثره علم أن الرجل كان متضلعا من العلم وأنه ذا خبرة تامة بفن التعليم (بيداغوجي)"^{١٩}.

إذا أردنا أن نعلم مكانة هذا المتن وأهميته، وسعة انتشاره في العالم الإسلامي، فإنه يمكننا أن نتتبع الشروح والحواشي التي ألقت عليه، وأن نستقصي الجهود العلمية التي بذلت لبسطه، فوجود الشروح والحواشي والتعليقات يدلنا على أن المتن كان معتمدا للتدریس، إذ كان العلماء يكتبون شروحهم التي هي نتاج حلقات العلم، بل إن انتشار مخطوطات الكتاب في بقاع العالم دليل على تهافت العلماء عليه وإقبالهم على تعلمه وتعليمه، ولهذا فقد أردت أن أشير إلى بعض الشروح التي ألقت في بلدان مختلفة لأبين عناية العلماء بهذا النظم.

لعل المغرب الإسلامي كان أكثر الأماكن عناية بالسلم المرونق، بحكم الجوار، وبحكم التلاحق العلمي الذي كان بين الحواضر العلمية، فقد وجدت شروح للسلم في تونس وفي المغرب وفي موريتانيا، ففي تونس نجد "شرح السلم في المنطق" للشيخ محمد بن حسن بن عبد الرزاق المعروف بالهدة التونسي (ت ١١٩٧ هـ) وهو أحد شيوخ الزيتونة وأحد علماء تونس في عصره، أما في المغرب فعلى السلم شروح كثيرة نذكر منها: "فتح الباب المغلق في شرح السلم المرونق" لأبي بكر بن علي الفرجي السلوي المراكشي (ت ١١٣٩ هـ)، و"شرح السلم المرونق" لأبي عبد الله محمد بن حسن بن مسعود البناني الفاسي (ت ١١٩٤) وعلى هذا الشرح حواش كثيرة منها: "حاشية على شرح البناني" لأبي عبد الله محمد بن محمد الشفشاوني (ت ١٢٣٢ هـ)، "حاشية على شرح البناني على السلم" للهادي إدريس العلمي الشفشاوني (ت ١٣٢٩ هـ)، أما أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر التادلي الرباطي (ت ١٣١١ هـ) فله "القول المسلم في شرح نظم السلم" وله أيضا "المعقب شرح سلم المنطق"،... وإذا اتجهنا إلى موريتانيا بلاد شنقيط فإن علماء المحاضر الشنقيطية كان لهم إسهامات عديدة في شرح متن الأخضري، أذكر منها: "شرح الأخضري" لأنبیرك بن

ميلود الحسني (ت ١٣٥٥ هـ)، و"السلك البديع على سلم الأخضري" لمحمد حبيب الله بن مايابي الجكني (ت ١٣٦٤ هـ)، و"شرح على الأخضري" لمحمد بن باباه القناني (ت ١٣٨٢ هـ)، و"شرح السلم في المنطق" لمحمد عبد الله بن البشير المالكي (ت ١٣٨٥ هـ)، و"شرح سلم الأخضري في المنطق" لخديجة بنت العاقل، ...

هذا بالنسبة لدول المغرب الإسلامي والتي جعلت من متن السلم مقرا في علم المنطق منذ أوائل ظهوره ولقرون من بعده، أما في المشرق فقد كانت مصر أكثر حواضر العلم التي اهتمت بمتن الأخضري، وكان أحد مقررات الأزهر الشريف، ولذلك وجدنا العديد من الشروح عليه من علماء مصر عامة ومن شيوخ الأزهر خصوصا، ومن هذه الشروح نذكر: "حاشية على الأخضري في المنطق" لأبي عبد الله محمد بن عيسى بن يوسف الدمياطي الشافعي الخلوتي (ت ١١٧٦ هـ)، "شرحان على السلم المنورق" لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف الملوي المجيري (ت ١١٨١ هـ)، "حاشية على شرح السلم للملوي" لعلي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (ت ١١٨٩ هـ)، "حاشية الأجهوري على شرح الملوي على شرح السلم" لعطية بن عطية البرهاني الشهير بالأجهوري (ت ١١٩٠ هـ)، "حاشية على شرح الملوي على السلم" لأبي العرفان محمد بن علي المصري المعروف بالصبان (ت ١٢٠٦ هـ)، "حاشية على شرح البناني" لشيخ الأزهر حسن بن محمد العطار (ت ١٢٥٠ هـ)، "حاشية على السلم المنورق" لإبراهيم بن محمد الباجوري (ت ١٢٧٦ هـ)، "إيضاح المبهمة من معاني متن السلم" لشيخ الأزهر برهان الدين حسن بن درويش بن عبد الله القويسني (ت ١٢٥٤ هـ) وهو من أشهر شروح الأزهريين على سلم الأخضري، ... ويتبين لنا من خلال هذه الشروح الكثيرة التي لم أذكرها جميعا أن هذا المتن قد كان أحد المقررات الرئيسية في الأزهر.

وبالنسبة لسوريا ولشيوخ دمشق فإنهم أيضا قد أسهموا في شرح متن الأخضري، فممن اعتنوا به وشرحوه الشيخ إبراهيم بن محمود بن أحمد العطار الدمشقي (ت ١٣١٤ هـ) وله كتاب "حاشية على حاشية الباجوري على شرح السلم"، وكذلك محمد الخطابي (ت ١٣٢٣ هـ) وله كتاب "شرح السلم" وهؤلاء من علماء دمشق ومدرسي الجامع الأموي.^{٢٠}

كانت هذه بعض الشروح فقط التي بيّنت من خلالها شهرة متن الأخضري في الحواضر الإسلامية الشهيرة، وإلا فإن الشروح أكثر، وشهرته بلغت أكثر من ذلك، فالدكتور أبو القاسم سعد الله يذكر أنه قد وصلت شهرته إلى السودان والهند.^{٢١}

وعن ظهور هذا المتن في سياق التطور التاريخي لعلم المنطق عند المسلمين فإن المعروف أن بلاد المغرب العربي اشتهرت بالتدقيق والتتقير عن المسائل العقلية والكلامية منذ عُقود طويلة، فبعد ظهور محمد بن عبد الله ابن تومرت (ت ٥٢٤هـ) الذي بدأ دعوته الإصلاحية على رُكّام المذاهب السياسية والكلامية التي كانت سبباً لبحث المسائل الخلافية العقدية، ظهر بعده فكرٌ جديدٌ بنحو ثلاثة قرون للعلامة المؤرخ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) رحمه الله تعالى، الذي أخرج لبلاد المغرب والمشرق ما عرف بمنطق ابن خلدون وفلسفته التاريخية والاجتماعية، وكانت آراؤه محلّ جدل طويل بين أهل المشرق والمغرب إلى اليوم، ثم ظهر في مدينة "تلمسان" الجزائرية المصلح الزاهد "محمد بن يوسف السنوسي" (ت ٨٩٥ هـ) رحمه الله تعالى، وهو مُصنّف الكتب المشهورة عند المالكية والأشاعرة مثل: "العقيدة الكبرى" و"العقيدة الوسطى" و"العقيدة الصغرى" وتسمّى أم البراهين، و"شرح إيساغوجي" في المنطق.

فَيَسْتَفَادُ مما سبق أن الحركات الكلامية والفلسفية والاجتماعية والدينية التي سبقت الأخضري كانت سبباً مباشراً - فيما يبدو - لإقناع الأخضري بتصنيف سُلّم المنطق، لضبط العلوم والمدرّكات المختلفة.

فإذا كان بين ابن تومرت والأخضري نحو أربعة قرون ونيف، وبين ابن خلدون والأخضري نحو خمس وسبعون ومائة سنة، وبين السنوسي والأخضري نحو ثمانٍ وثمانين سنة، فَيُسْتَخْلَصُ أن هذه أسباب زمانية لها جذور تراثية، أثّرت في تكوين الجانب العلمي والديني للأخضري، وكانت مُحفّزاً للبيئة الجزائرية لتجديد الجوانب الإيمانية والعلمية في بلاد المغرب.^{٢٢}

لقد جاء متن الأخضري في وقت وصف بالزهد في علم المنطق؛ ربما لصعوبته ولكثرة اهتمام المغاربة بالتصوف، ولذلك كان للأخضري دور في تسهيل علم المنطق وإعادة مكانته له، وأسهم في متنه في إعادة الاعتبار لهذا العلم بحيث سيطر على الدراسات المنطقية لمدة تقارب الأربعة قرون، ولأهميته وبراعة تأليفه ترجمه المستشرق الفرنسي لوسيان في أوائل القرن العشرين،

ودرسه وقدمه للقراء الأجانب، بل إنه قارنه بـ (حديقة الجذور الإغريقية لكلود لانسلو، وكذلك قارنه حاجي خليفة بعمل إيساغوجي^{٢٣}).

المبحث الثالث: عناية علماء الجزائر بمتن السلم المرونق

لم يكن للجزائر أن يغيب عنها ما اشتهر في البلدان والأمصار الأخرى، ولم يكن لمتن الأخضري أن يسافر إلى الشرق حيث الحواضر العلمية الكبرى في مصر ودمشق، ويسافر إلى الغرب حيث فاس والقرويين، ثم يغيب تدريسه عن حواضر الجزائر التي بلغت شهرتها ما بلغت الحواضر الأخرى، فقد كانت الجزائر في الفترة التي سبقت الأخضري قليلاً (فترة الوجود العثماني) تسمى بإستانبول الصغرى^{٢٤}، وعرفت فيها مدن للعلم كتلمسان، وقسنطينة، وبجاية، ومازونة، ووهران، والجزائر، وعنابة، وبسكرة، وكلها كانت لها شهرتها ولها علماءها الذين استتار بهم الشرق والغرب، ويكفي أن نعلم أن المسجد الجامع بتلمسان كان يوازي جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، والأزهر بمصر، وإن كانت فترة ما بعد الأخضري قد شهدت ضعف المدرسة التلمسانية بفعل الأوضاع السياسية إلا أن بعض الأماكن قد بقيت لها قوتها العلمية، وجذبت الكثير من العلماء، وخرّجت العديد منهم.

العناية به تدريساً:

لقد واجهت صعوبة كبيرة في تتبع تدريس متن السلم المرونق في المدارس الجزائرية، ذلك أن أغلب المصادر التي عدت إليها لم تكن تذكر هذا المتن تحديداً ولكنها تذكر تدريس علم المنطق عموماً، وإن كنا نعلم أن أغلب الشروح التي كتبت لا تتبع من فراغ ولكنها عادة ما تكون نتاج حلقات الدرس، وعادة ما توثق شرح الشيخ لطلبته، فوجود شرح للسلم للشيخ أبي راس الناصري لا شك هو دليل على أن حواضر الغرب الجزائري كانت تعتمد متن الأخضري في مقرراتها. وهو ما يؤكده الدكتور أبو القاسم سعد الله بقوله عن طريقة الأساتذة في الجزائر في الفترة العثمانية: "كانوا يلجأون إلى توفير الإملاءات لطلابهم فنتج عن ذلك عدد من التقايد والحواشي والشروح، وهي جميعاً تتحول إلى تأليف في مختلف الفروع، فالتعليم إذن كان باعثاً على التأليف"^{٢٥} ويضيف أيضاً عن مساهمة الطلاب في توثيق شروحات أساتذتهم، فيقول: "...كما أن الطلاب أنفسهم يسجلون الدرس كله إذا كان المدرس واسع العلم غير متقيد بالمنقول والمسموع من

المسائل، فإن الطلاب في هذه الحالة يصبحون حريصين على ألا تفوتهم شاردة ولا واردة من درس شيخهم، وبذلك يسهمون بدورهم في حركة التأليف التي كانت ممدوحة حينئذ^{٢٦}.

يبدو من خلال كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم الشريف أن المدرسة التلمسانية في القرن العاشر الهجري (قرن الأخضري) كانت تدرّس متن السلم المرونق في علم المنطق، فقد ذكر ابن مريم أن شيخه أحمد بن عيسى الورنيدي، كان يدرّس رسالة ابن أبي زيد ومختصر ابن الحاجب الفرعي وعقائد الشيخ السنوسي وألفية ابن مالك ومنظوم الجزري وأبي مقرع والسلم المرونق في المنطق وحكم ابن عطاء الله في التصوف^{٢٧}، وبذلك فهو يوثق لنا أمرا هاما باعتماد هذا المتن في التدريس في نفس عصر ناظمه، وفي أقصى الغرب الجزائري.

وبالنسبة لمدرسة مازونة الشهيرة فقد كانت تعتمد كتب الأخضري أيضا في مقرراتها، إذ إن شهرة الأخضري في صياغة المتون المخصصة للتعليم جعلت منظوماته أيسر للطلاب وأدعى للاعتماد عليها، ولذلك وجدنا أيضا من الكتب المعتمدة في مازونة "السلم المرونق في علم المنطق" إلى جانب الجوهر المكنون في اللغة^{٢٨}.

أما عن حاضرة مدينة الجزائر والتي كانت من مراكز العلم فقد اشتهر فيها الشيخ سعيد قدّورة، والذي كانت مجالسه تشد إليها الرحال، وتتلّمذ على يديه عدد من العلماء أمثال عيسى الثعالبي، ومحمد بن عبد الكريم الجزائري، ويحيى الشاوي، وعمر المنجلاتي ... وقد كان للشيخ دروس في المنطق الذي برع فيه، ويبدو أنه كان يعتمد متن "السلم المرونق في علم المنطق" في تدريسه، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "وقد كانت مساهمة قدّورة في الدرس لا في التأليف وباللسان لا بالتعليم. ولذلك كثر تلاميذه وقلت تأليفه. ومع ذلك فقد نسب إليه مترجموه بعض التأليف التي لا تخرج في نظرنا عن الإملاءات التي كان يملئها على الطلاب في الجامع الكبير أو جامع سيدي رمضان. وقد اطلعنا على بعضها فوجدناها كذلك. فهي مختصرة وموضحة لبعض المسائل التي قد تفوت الطلاب، ثم إن ما اطلعنا عليه منها ليس بقلمه وإنما هو بأقلام النساخ. فلعل هذه الإملاءات كانت أيضا بأقلام الطلاب أنفسهم. وكانت موضوعاتها لا تخرج عن المواد المدروسة عندئذ، ولا سيما مواد الحديث والفقه والنحو والمنطق"^{٢٩}. ثم ذكر من تأليفه: "شرح على السلم المرونق في المنطق".

وعلى العموم فإن الجزائر في الفترة العثمانية، وفي الحواضر العلمية آنذاك كانت تعتمد على متن الأخضري كواحد من المقررات الأساسية، ونشأت الكثير من الشروح والحواشي عن حلقات الدرس ومن رحم المجالس العلمية المتفرقة عبر مناطق الجزائر، بل إن سعد الله قد جعل متن الأخضري من المؤلفات التي كانت شائعة في ذلك الوقت وكانت كملح الطعام في كل مجلس علم^{٣٠}.

لقد بقي هذا التقليد سائرا إلى وقت الاحتلال الفرنسي للجزائر، وبقيت المدارس الحرة والزوايا تعتمد الكثير من المقررات الأولى في التدريس، وحافظت إلى وقت طويل على نهج الأولين بالرغم من المحاولات الفرنسية الممنهجة لتحطيم التعليم وفرسته. وقد حاولت أن أستخرج نماذج من هذه المناهج فوجدت نموذجين؛ واحد للزوايا العلمية والثاني للمدارس الحرة، أما الزوايا فقد وجدت أن زاوية الهامل التي كانت إحدى قلاع العلم في الجزائر، والتي لها شهرتها بين العلماء، كانت تعتمد في مناهجها على تدريس المنطق، فبالإضافة إلى القرآن الكريم والعلوم اللغوية والشرعية، كانت مقرراتها تشتمل على التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية وعلم المنطق والفلك والحساب، .. وفي علم المنطق كانت الكتب المعتمدة هي: السلم للأخضري بشرح المؤلف والملوي والباجوري، وإيساغوجي للأبهري بشرح شيخ الإسلام، والتهديب للسعد بشرح الحصيني، والشمسية بشرح القطب الرازي، والمختصر للسنوسي، والمطالع للأرموري بشرح الرازي^{٣١}.

وبهذا يتبين لنا أن زاوية الهامل كانت تعتمد السلم المروني كواحد من الكتب الأساسية التي ينبغي على الطالب أن يتعلمها جريا على عادة أغلب المعاهد العريقة، والمدارس الأخرى داخل القطر الجزائري وخارجه.

وبالنسبة للمدارس الحرة فإننا عند البحث وجدنا أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت تدرس سلم الأخضري في التعليم المسجدي، والذي كان ينقسم آنذاك إلى نوعين، ١- التعليم بواسطة دروس الوعظ والإرشاد وهو الموجه لعامة الناس. ٢- التعليم بواسطة الدروس المنتظمة وهو تعليم عال مقسم إلى أربع مراحل، تمكن المتخرج منه من مواصلة دراسته في جامع الزيتونة أو في غيره من المعاهد الإسلامية، وقد كان المنطق يدرّس في النوع الثاني باعتباره موجها للمتخصصين والمتفرغين للحصول العلمي الرصين^{٣٢}.

من خلال النموذجين السابقين يظهر لنا أهمية متن السلم ضمن المقررات التي اعتمدت في الزوايا والمدارس المعاصرة على السواء، وكيف أنه بقي متوارثا عبر قرون، وهذا الذي ذكرته هو ما استطعت الوصول إليه موثقا، أما الواقع فإنه يؤكد اشتهار كتب الأخضري بين العلماء لسهولة وقدرتها على تذليل العلوم للطلبة.

العناية به تأليفا:

لقد ألف علماء الجزائر العديد من الشروح على متن السلم المرونق، وتركوا تراثا كبيرا من المخطوطات الشاهدة على ذلك، والتي هي - كما ذكرنا - نتاج حلقات العلم والدرس التي كانت تعرفها الحواضر العلمية، فكان الطلبة يدنون شروح الشيوخ على المتون، وكان العلماء يراجعون هذه التوثيقات التي تتوج عادة بمؤلفات جديدة، وفيما يلي سأذكر الشروح التي ألفها علماء الجزائر على السلم المرونق في علم المنطق، لأبين عنايتهم به تأليفا كما بينت عنايتهم به تدرّيسا.

- شرح الشيخ أبي عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة (١٠٦٦ هـ):

وهو سعيد بن إبراهيم قدورة، أبو عثمان: مفتي مدينة الجزائر وفقهها وعالمها وصالحها. تونسي الأصل، جزائري المولد والنشأة. أخذ عن سعيد المقري وغيره. وأخذ عنه محمد بن اسماعيل مفتي الجزائر، ويحيى الشاوي وغيرهما^{٣٣}. وقد كانت للشيخ مكانة كبيرة عند العلماء وعند الحكام، فكما كانت حلقاته مقصد طلاب العلم، وكانوا يرحلون إليه من مختلف الأمصار، كذلك كان الحكام يجلونه ويقدرونه ويقبلون يده^{٣٤}.

ترك الشيخ سعيد قدورة عددا من المؤلفات في الفقه واللغة والمنطق، ومن هذه المؤلفات شرحه على السلم المرونق للأخضري، والذي ألفه كما يقول كتّيبيل على شرح المؤلف، قال رحمه الله: "فإني استخرت الله تعالى في وضع تقييد على الأرجوزة الموسومة بـ: "السلم المرونق في علم المنطق" بحيث يكون مضافا لشرح المصنف كالتنزيل لما أهمله وأغفله في شرحه مظهرا لمقاصده، ومستخرجا بعون الله بعض فوائده، والله المسؤول في بلوغ الأمول"^{٣٥}. ولا شك أن العبارات فيها من التواضع ما فيها، وتبين عن أدب الشارح مع صاحب المتن. وقد قام الأستاذ محمد هوارى بتحقيق مخطوط الكتاب في إطار استكمال متطلبات نيل درجة الماجستير من جامعة

تلمسان، الجزائر سنة ٢٠١٣م، ولا نعلم إن كان قد طبع مستقلا أم لا، فجزاه الله خيرا على ما قدم للتراث الجزائري، وقد وصف المحقق الكتاب بقوله: "إن القيمة العلمية للمخطوط "شرح السلم المرونق في علم المنطق" تكمن في كونه يضع بين يدي الدارس الساعي إلى المفاهيم الفكرية القديمة، والتواق إلى رحاب البناء العقلي المتماسك، ومجالات التركيب والتحليل في ميادين البحث والاستقراء المختلفة، إمكانات الاختيار في العلم الواحد بين نمطين أو مذهبين في العرض والتبسيط، يستتير بهما، وهو يحث الخطى في استقصاء ألوان المعرفة، وضروب المذاقات الثقافية. وقد حرص الشارح على أن يأتي شرحه على نظم الأخضري لسلمه ذا مرتكزين: لغوي وتفسيري، وآخر منهجي فلسفي، بحيث تتعانق الصورتان وتتعاون لإيضاح المبهم من درجات السلم، وتلقيان الضوء على الزوايا القاتمة والغامضة. فهو أبسط وأوضح الشروحات المعروفة، حيث أن قدورة كتب شرحه بأسلوب سهل وعبارة سلسلة، لم يتبع أساليب الشراح في التعقيد، لذلك كانت قيمته العلمية عالية. كما أن هذا الكتاب يعتبر مرجعا ثميناً لطلبة العلم، فمن خلاله يتعلمون أهم القضايا التي عالجها المنطق"^{٣٦}. وقد وصف الحفناوي أسلوب الشيخ سعيد قدورة في كتابه فقال: "وقد بالغ رحمه الله في بسط العبارة في شرح السلم فكان ذلك مما انفرد به"^{٣٧}.

ولعل شرح الشيخ قدورة على السلم أشهر الشروح الجزائرية التي تداولها العلماء وأشادوا بها، ودليل ذلك توفر نسخه في خزائن المخطوطات الجزائرية والمغربية، مما جعل الكتاب يبقى إلى يومنا هذا على خلاف ما رأيناه من الشروح الأخرى، ويضاف إلى ذلك شهرة العالم ومكانته، وقرب عصره من عصر صاحب المتن رحمهما الله.

- شرح السلم المرونق للشيخ أبي عبد الله محمد بن خليفة (ت ١٠٩٤ هـ):

والمؤلف هو أبو عبد الله محمد بن خليفة الجزائري، فقيه، مشارك في عدة علوم، رحالة، من أهل مدينة الجزائر. رحل إلى المشرق، ودخل مصر فأخذ عن علمائها. وعاد، فتصدى للتدريس، فاشتهر، وأخذ عنه جماعة^{٣٨}. أثنى عليه بن زكور في أزاهر البستان فقال: "الشيخ المسن البركة، الحائز قصب السبق في فنون مشتركة، شيخ المشايخ، الذي له في تحقيق العلوم قدم راسخ، .. فاضل علامة، رحالة مجذامة، .. دخل مصر وهو غلان، لسلسبيل البيان، فكرع في غديره، حتى تضلع من نميره، وأحرم بمطافه، حتى تروى من نطافه، فأب إلى الجزائر بعد أن ألحم من أسرار

وأشحم، واقتبس من أنواره ما ينجلي به الليل الأسحم، .. وتصدّى للتدريس والتصنيف، وتردّى بحلّتي التقديس والتشريف"^{٣٩}.

يذكر ابن زاكور أن الشيخ محمد بن خليفة الجزائري قد أعلمه بشرحه على السلم المرونق، وندبه إلى الاطلاع على كتبه، وهو بذلك يوثق لنا شرحاً من الشروح الجزائرية الأولى على سلم الأخضري، غير أننا لا نعلم شيئاً عن هذا الكتاب.

- شرح السلم المرونق في علم المنطق، للشيخ معزوز البحري المستغانمي (١٢هـ):

وهو المعروف بسيدي معزوز البحري المستغانمي، قال عنه صاحب تعريف الخلف: "أوجد زمانه وسراج أوانه حامل لواء كل فن وواصل ما ظهر من العلوم بما بطن، المشار إليه عند الكل بالمقام السامي العلامة الناصح والولي الصالح سيدي معزوز البحري المستغانمي، لم يعرف عندنا بغير هذا من قديم غير أن ما أشهر الله من أمره وأظهر عليه من حل فضله أغنى المعرفة عن التعريف وطرزه بطراز التكريم والتشريف"^{٤٠}. وقد ذكر من مؤلفاته شرحه على السلم المرونق للأخضري.

حقق الكتاب الباحث حبيب بوزوادة، ونشرته دار alphdoc سنة ٢٠٢٠، وهو في ١٩٢ صفحة، وقد وصف المحقق الكتاب بأنه ثالث شرح بعد شرح المؤلف وشرح سعيد قدورة، والحق أنه ليس كذلك فشرح محمد بن خليفة الجزائري سابق عليه، كما أننا لا نحيط علماً بما كتب من شروح حتى نستطيع الترتيب والجزم.

- كتاب "القول المسلم في شرح السلم" لأبي راس الناصري المعسكري (ت ١٢٣٨ هـ):

والمؤلف هو محمد أبوراس بن أحمد ابن ناصر الراشدي الناصري المعسكري نسبة إلى مدينة معسكر في الغرب الجزائري، يقول عنه صاحب "تعريف الخلف برجال السلف": "كان رحمه الله ورضي عنه إماماً في المعقول والمنقول وإليه يرجع في الفروع والأصول، ورحل في طلب العلم واكتساب المعارف، وافى الأفاضل من أهل مصر وتونس وفاس وأخذ عنهم التالذ والطارف، ودرس وأفاد ورفع منار العلم وأشاد، وكان يدعى في زمانه الحافظ لقوة حفظه وتمكنه متى شاء من استحضار مسانده حتى كأن العلوم كتبت بين عينيه وله تأليف مفيدة بديعة سارت بها لعزتها الركبان واشتدت إليها لنفاستها رغبة القاصي والدان .. توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا ببركاته عام ثمان وثلاثين ومائتين وألف (١٢٣٨ هـ) وقد جاوز التسعين"^{٤١}.

انتصب للتدريس ثم تولى القضاء .. وتخلّى عن البادية وعاد لمعسكر وزاؤل التدريس ليلا ونهارا وداوم على ذلك نحو ست وثلاثين سنة كما ذكر دون أن يتخلف عن ذلك ولو يوما واحدا^{٤٢}.

وقد كان الشيخ كثير التآليف حتى ليذكر هو عن نفسه أنه قارب السيوطي في كثرتها، واختلفت هذه المؤلفات بين شتى الفنون والعلوم، أشهرها كتب التاريخ، ورحلته الشهيرة، لكن علم المنطق كان له حظ من هذه المؤلفات، إذ يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه من أواخر من ألف في المنطق في العهد العثماني، ويقول: " ذكر أبو راس أن له شرحا على سلم الأخضري سماه (القول المسلم في شرح السلم)، ولعل له غيره في المنطق أيضا، فقد كان عالما بشؤون الدين والدنيا كما عرفنا، وذكر في رحلته (فتح الإله ومنته) تأليفه مبوبة، واطلعنا على ذلك وسجلنا له الكتاب المذكور في المنطق، غير أنه لا يستبعد أن يكون له غيره مما لم نسجله"^{٤٣}. والذي يهمنا في هذا ليس كل مؤلفاته في المنطق وإنما شرحه على السلم المرونق والذي سماه القول المسلم في شرح السلم، لكنه للأسف مفقود على ما نعلم.

- شرح الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي (ت ١٢٤٢ هـ):

وهو الأستاذ محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن أبي القاسم الطالب الرحموني نسبة إلى أولاد رحمون من شرفاء العش في بلد امشدالة، وجد بخطه أنه قرأ وأجيز في جامع الزيتونة بتونس ولما رجع منها اشتغل بالتدريس في جبل بني عيسى واستدعاه الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وقدم إليه واشتغل عنده في جبل جرجرة بالتدريس ونفع الخلق بالعلوم إلى أن توفي سنة ١٢٤٢ هـ عن نحو ٩٠ سنة^{٤٤}. وقد ذكر له الحفناوي مجموعة من المؤلفات منها شرحه للسلم المرونق، لكن لا نعلم أيضا مكان هذا الكتاب.

هذا ما استطعت تقييده من شروح جزائرية على السلم المرونق، والتي يلاحظ أنها ابتدأت بعد قرن تقريبا من كتابة المتن وامتدت لقرون بعدها، كما أن بعضها مفقود لم يصل إلينا، أو لم يحقق، وبعضها تم تحقيقه وطبعه، وهو ما يبين عناية علماء الجزائر بهذا المتن تأليفا كما اعتنوا به تدرّيسا.

الخاتمة:

من خلال ما سبق بيانه وتفصيله، انتهى هذا البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن ذكرها فيما يلي:

- احتلت مؤلفات الأخضري مكانة كبيرة عند العلماء، وذاع صيتها، واشتهرت بين البلدان والأمصار، وتداولها العلماء لما وجدوا فيها من سهولة العبارة، واختصار الفنون والعلوم، ولبراعة مؤلفها في صياغة المتن العلمية كأنه خبير في المناهج ومتخصص فيها.

- لقد اعتنى العلماء في حواضر العلم المختلفة بمتن السلم المرونق للأخضري، وقرروه في حلقاتهم العلمية، واعتمدوه في الدروس، وشرحوه شروحا كثيرة تدل على أهمية هذا المتن وقيمه، وهو ما يفسر انتشاره في غرب العالم الإسلامي وشرقه، حتى رأينا مشايخ الأزهر الشريف يولونه عناية خاصة.

- كان لمتن الأخضري في الجزائر عناية خاصة، فقد قرره العلماء في حلقات الدرس، كما فعلت جميع الحواضر، وسيطر هذا المتن على المناهج في الجزائر لقرون طويلة، ورأينا كيف اعتمدته تلمسان، والجزائر، ومازونة، واعتمدته من بعدهم الزوايا العلمية، والمدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- لم يكتف علماء الجزائر بتدريس متن الأخضري فقط، بل إنهم أسهموا في تأليف شروح عليه، وأبانوا عن مقدرة كبيرة في تناوله وتبسيط معانيه وتقريبها للمتعلمين، وأشهر هذه الشروح هو شرح الشيخ سعيد قدورة الجزائري، مفتي المالكية في وقته.

التوصيات:

مما يحسن التوصية به ههنا أن يتم تعميق البحث في تراث الجزائريين في مجال علم المنطق خاصة، وفي مختلف الفنون والعلوم الشرعية الأخرى، فهي لا تزال بحاجة إلى بحث واكتشاف، وإمالة اللثام عنها تعطي نظرة عن الحالة الثقافية للجزائر التي ظن البعض أنها خلت من أي إبداع وإسهام علمي.

كما أنه من الضروري استنهاض الهمم للبحث عن المخطوطات المفقودة، والتي قد تكون حبيسة الخزانات العائلية، ومن ثم تحقيقها وإخراجها للباحثين والقارئ والمهتمين، فإن العلم ميراث وجب الحفاظ عليه، وتراث الأمة ينبغي صونه من الضياع وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

- ^١ ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٠، ص ١٤. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٥، ٢٠٠٢، ج ٣/٣٣٠.
- ^٢ عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، تحقيق وتقديم: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، د ط ت، ص ١٢٨.
- ^٣ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط ٧، ١٩٩٤، ج ٣/٧٩.
- ^٤ عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، تحقيق وتقديم: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، ص ٩، ١٠.
- ^٥ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، ط ٢٠١٧، ج ١/٥٠٠.
- ^٦ محمد هوارى، شرح السلم المرونق في علم المنطق، للشيخ سعيد قدورة (ت ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٦ م) - دراسة وتحقيق -، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الحق زريوح، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر الموسم: ٢٠١٢/٢٠١٣، ص ٤١، ٤٢.
- ^٧ عبد الرحمن الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، تحقيق: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، د ط ت، ص ٢٢.
- ^٨ عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، تحقيق وتقديم: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، ص ٣٧، ٣٨.
- ^٩ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١/٥٠١.
- ^{١٠} انظر مقدمة تحقيق العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري، أحمد بن داود، تحقيق: لحسن بن علبية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط ت، ص ١٤.
- ^{١١} أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٢/٤٠٦.
- ^{١٢} الأعلام، الزركلي، ج ٣/٣٣١.
- ^{١٣} عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج ٣/٨١.
- ^{١٤} مجلة الأصالة، كانت تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، العدد ٥٣، السنة السابعة، ص ٢٥.
- ^{١٥} أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١/٥٠١.
- ^{١٦} انظر هامش تحقيق شرح السلم المرونق في علم المنطق، عبد الرحمن الأخضري، ص ٣٧.
- ^{١٧} شرح القويسني على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمن الأخضري، تحقيق: مصطفى العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٦، ص ٦٠.
- ^{١٨} عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، ص ٣٧، ٣٨.
- ^{١٩} عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج ٣/٨٠.

^{٢٠} ينظر عبد الله محمد الحبشي، جامع الشروح والحواشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤، ص ١٠٤٣ إلى ١٠٥٠، وعبد القادر بقادر، المخطوط الجزائري ومكانته في المحاضر الموريتانية، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب أفريقيا، جامعة أدرار، المجلد ٣ العدد ٠٢ مارس ٢٠١٥، ص ٤١ وما بعدها.

^{٢١} أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٢/١٥٠.

^{٢٢} ينظر أحمد بن مسفر العتيبي، نقد سلم الأخضري، مقال على موقع: <https://ahmad-mosfer.com/1752>، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٢/٠٢/٠٣، الساعة: ١٨:١٠.

^{٢٣} أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بتصرف، ج ٢/١٥٠، ١٥١.

^{٢٤} المصدر نفسه، ج ١/٣٨٧.

^{٢٥} المصدر نفسه، ج ١/٣٣٨.

^{٢٦} المصدر نفسه، ج ١/٣٤٥.

^{٢٧} ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه: محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م، ص ٢٤.

^{٢٨} بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب ١٧١١-١٨٣٠ م، معسكر ومازونة نموذجاً، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩، بتصرف، ص ١٩٨.

^{٢٩} أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١/٣٦٨.

^{٣٠} ينظر المصدر نفسه، ج ١/٣٥٠، ٣٥٢.

^{٣١} عبد الرحمن بلعالم، عبد اللطيف بعجي، زاوية الهامل حاضرة علمية وقلعة ثورية، الكتاب الجماعي: المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠-١٩٦٢ م، دراسة استبصارية استثمارية، إشراف وتحرير: د. بلخير عمراني، ط ١ ٢٠١٩، ج ١/٣٠٧، ٣٠٩.

^{٣٢} رشيد مياد، مؤسسات التعليم العربي الحرومناهجها في الجزائر بين ١٩٣١-١٩٥٦ م، الكتاب الجماعي: المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠-١٩٦٢ م، دراسة استبصارية استثمارية، إشراف وتحرير: د. بلخير عمراني، ط ١ ٢٠٢٠، ج ٢/٣٨٨.

^{٣٣} عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص ٢٥٩.

^{٣٤} لمزيد من الاطلاع على سيرة الشيخ يراجع، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ١/٣٥٧ وما بعدها.

^{٣٥} محمد هوارى، شرح السلم المرونق في علم المنطق، للشيخ سعيد قدورة، ص ١٢٤.

^{٣٦} المرجع نفسه، ص ٨٧.

^{٣٧} أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانة، الجزائر، ط ١٩٠٦، ج ١/٦٢.

^{٣٨} عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص ١٠٨.

^{٣٩} ابن زاكور الفاسي، نشر أزهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢٠١١، ص ٧١، ٧٢.

^{٤٠} المصدر نفسه، ج ٢/٥٧٠.

- ^{٤١} أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج ٢/٣٣٢.
- ^{٤٢} أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، المؤسسة الوطنية للكتاب، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الزموري، الجزائر، ط ١٩٨٢، ص ٢٢.
- ^{٤٣} أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٢/١٥٣.
- ^{٤٤} أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج ٢/٥٢٢.

المصادر والمراجع:

١. ابن زاكور الفاسي، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢٠١١.
٢. ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه: محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م.
٣. أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانة، الجزائر، ط ١٩٠٦.
٤. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، ط ٢٠١٧.
٥. أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، المؤسسة الوطنية للكتاب، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الزموري، الجزائر، ط ١٩٨٢.
٦. أحمد بن داود، العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري، تحقيق: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط ت.
٧. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٥٠٢ ٢٠٠٢.
٨. شرح القويسني على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمن الأخضري، تحقيق: مصطفى العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٠١٦ ٢٠١٦.
٩. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢ ١٩٨٠.
١٠. عبد الرحمن الأخضري، الجواهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، تحقيق: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، د ط ت.

١١. عبد الرحمن الأخضري، شرح السلم المرونق في علم المنطق، تحقيق وتقديم: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، د ط ت.

١٢. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط ٧ ١٩٩٤.

١٣. عبد الله محمد الحبشي، جامع الشروح والحواشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.

الرسائل الجامعية:

١. بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب ١٧١١-١٨٣٠م، معسكر ومازونة نموذجا، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩.

٢. محمد هوارى، شرح السلم المرونق في علم المنطق، للشيخ سعيد قدورة (ت ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٦م) - دراسة وتحقيق -، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الحق زريوح، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر الموسم: ٢٠١٢/٢٠١٣.

المقالات:

١. مجلة الأصالة، كانت تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، العدد ٥٣، السنة السابعة، ص ٢٥.

٢. عبد القادر بقادر، المخطوط الجزائري ومكانته في المحاضر الموريتانية، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب أفريقيا، جامعة أدرار، المجلد ٣ العدد ٠٢ مارس ٢٠١٥.

٣. عبد الرحمن بلعالم، عبد اللطيف بعجي، زاوية الهامل حاضرة علمية وقلعة ثورية، الكتاب الجماعي: المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠-١٩٦٢م، دراسة استبصارية استثمارية، إشراف وتحرير: د. بلخير عمراني، ط ١ ٢٠١٩ ج ١.

٤. رشيد مياد، مؤسسات التعليم العربي الحر ومناهجها في الجزائر بين ١٩٣١-١٩٥٦م، الكتاب الجماعي: المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠-١٩٦٢م، دراسة استبصارية استثمارية، إشراف وتحرير: د. بلخير عمراني، ط ١ ٢٠٢٠، ج ٢.

المواقع الالكترونية:

١. أحمد بن مسفر العتيبي، نقد سلم الأخضري، مقال على موقع: <https://ahmad-mosfer.com/1752>، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٢/٠٢/٠٣، الساعة: ١٠:١٨.